

البَيْتُ

ميسون صقر القاسمي

دَاخِلَ الْبَيْتِ، بَيْنَ الْحُجْرَاتِ

أَمُدُّ عَاطِفَتِي صَوْبَ رِيحِ أَجْدُهَا بَارِدَةً عَاصِفَةً (الرَّيْحُ ذَاتُ الْبَيْتِ
الْمَجْبُولَةِ بِالغَيْيَانِ) أَمُدُّهَا عَبْرَ ذِرَاعَيْنِ مُلتَحِمَتَيْنِ بُوْجِهِ الْبَيْتِ
(الْبَيْتِ الْفَارِهِ، ذِي الْحُجْرَاتِ الْمُتَطَابِقَةِ فِي السُّمُكِ وَغَلَاظَةِ
السُّلْطَةِ الْمَحْكُومَةِ بِالْأَعْلَى وَالنَّخَاصِّ فِي مُقَابِلِ الْمَوْتِ الْفَاضِحِ
لَهَا وَلِبْنَاءِ هَادِمٍ دَاخِلُهُ وَخَارِجُهُ ظَالًا مُؤَنَسًا وَمُحَافِظًا فِي ظِلِّ
تَرَكَيبِهِ الْمَغْمُوسَةِ بِالظُّلْمَةِ - خَادِمٌ لِسَيْطَرَةٍ عَمِيقَةٍ، ذِي التَّرَكِيبَةِ
الْمُخْتَلِفَةِ بَيْنَ السُّلْطَةِ وَأَبْوَابِ الْحُلْمِ الْمَفْتُولِ بِدَايْتِهِ وَنَهَايْتِهِ فِي
الْقَلْبِ الْمَسْطُوحِ).

كَانَتْ هُنَاكَ مَلْمُومَةٌ لَوْهَلَةٍ عَلَى فَوْضَاهَا الَّتِي أَسْكَنْتَهَا تَجَاعِيدَهَا
وَتَجَارِبَهَا وَاسْتِكَانَةَ صَوْتِهَا.

وَكَانَ هُوَ... مُتَوَاجِدًا أَيْضًا... عَبْرَ احْتِفَالِ عَالِي الرِّيمِ بِحَسِّهِ
الَّذِي طَرَأَتْ عَلَيْهِ تَفَاعِيلُ السَّنِينَ مَعَ الصَّدَا وَالْجَنْزَرَةِ، لَا يَهْدَأُ
وَلَا يَرِيمُ.

وَلِي أَنْ أَمَدَّ عَاطِفَتِي تَجَاهَ مَا يَنْشُرُهَا هَبَاءً... أُحْصِي تَبَدُّلَاتِ
وَجْهَيْهِمَا - المَصْنُوعِينَ مِنْ خُبْزَةِ الزَّمَنِ - خِلَالِي، وَعُيُونِي
الشَّائِكَةَ الشَّائِهَةَ (شَبْحِيَّةٌ فِي رُؤَايَا) لَا تَفْتَأُ تُتَابِعُهُمَا بِحِمَاسٍ
مُفْتَعَلٍ فِي حَجَرِ نَوَاتِيهَا، فَأَجِدُهُمَا يَخْرُجَانِ كَبُؤُبُؤَيْنِ عَاكِسِينَ
اتِّجَاهَ النَّظَرِ بِلَا قَرَارٍ.

عَيْنَانِ كَثِيفَتَانِ بِالشَّجَرِ الْآثِمِ... بِالتَّارِيخِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ جِبَالِ
"الشَّحُوحِ" الْبَعِيدَةِ إِلَى مَنَبَعِ هَذَا الْبَحْرِ اللَّجَجِ... لَا كَأَنَّهُمَا
شَوَاطِئُ لِبَحْرِ غَامِقٍ فِي السَّرْدِ، لَا كَأَنَّهُمَا سِجْلِيَّتَانِ فِي هَذِهِ
الصَّخْرَاءِ الَّتِي تَشْهَقُ فِي الشَّمْسِ كُلِّ صَبَاحٍ بِالْإِثْنِيَّةِ الْمُتَعَانِقَةِ
بِالنَّجْوَعِ وَالْقُرَى الْبَعِيدَةِ.

عَيْنَانِ اسْتَقَرَّتَا مَعَهُمَا؛ هَذَيْنِ الْعُجُوزِينَ الْمَتْرَهِّلِينَ.

تلك المرأة التي تخرج من ثيابها متجهتاً إلى المطبخ كي تبدل
طعامها اليومي، تلك التي أراها كل يوم بنفس الوجه المتاكل، لا
تبدل وجنتها، ولا غفوة الموت كل لحظة على مائدة الطعام.
تلك امرأة الخوف، ابتناها الليل في أحشائه، وظل يجترها، ثم
قدفها لرحم البيت تسكن فيه.
منذ أربعين عاماً أو يزيد.
منذ ذلك التاريخ لم تخرج من هذا المكان المعد لها خصيصاً
كي تُدفن فيه.
حين تلمسها تلحظ جسدها المتحول إلى حجارة وجدران
مسمطة، وكل نافذة إليها مصابة بالإحباط.
حين أسير معها في المطر داخل البيت (كان مطراً حقيقياً)
يُبللني ذلك المطر الخرافي وأبتل بكامل هيئتي وأراها كجدار
مسمط تتزحلق من فوقه مساميره.
ألأنها لم تكن في الحلم...؟

حين نَسِيرُ مَعًا، بين الحَجَرَاتِ، كلُّ الأحَادِيثِ نَوَافِذُ لَكِنَّهَا
مُعَلَّقَةٌ تَجَاهَ تَأْنُسِنِهَا، (فَكُلُّ تَارِيخٍ أُسْرِيٍّ يَعِجُنُهَا هُوَ مُسْتَطِيلٌ
وَلَيْسَ مُرَبَعًا مُتَسَاوِيَّ الْأَضْلَاعِ).

لَمْ تَبْدُ لِي أَبَدًا غَرِيبَةً هَكَذَا.

لَقَدْ فَطِنْتُ لَسِرِّ نَقْصَانِهَا - هَذَا الْحَدِّ الَّذِي يَمْنَحُهَا غُرْبَتَهُ
(انزوت في طُرُقٍ مُتَخَلِّفَةٍ فِي الْعَيْشِ).

وَهُوَ ذَلِكَ الرَّابِضُ عَلَى كُرْسِيِّهِ مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ مِليونِ عَامٍ لَا
يَتَحَرَّكُ، وَإِذْ بَدَأَ عَلَيْهِ بَعْضُ التَّمَلُّمِ نَظَرَ إِلَى هَذِهِ النَّافِذَةِ الْقَرِيبَةِ
مِنْهُ وَالْبَعِيدَةِ عَنْهُ، وَالتِّي لَمْ تُفْتَحْ مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ مِليونِ عَامٍ وَيَوْمٍ.
لَمْ تَقْنِعْهُ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تُجَاوِرُهُ الْآنَ عُمُرَهُ لِأَنَّهُ ظَلَّ دَائِمًا
يَنْتَظِرُ أَنْ تَجْرَحَ عُمُرَهُ بِشَقِّ حَادٍّ وَعَمِيقٍ.

لَقَدْ كَانَ يَعِشُفُهَا، لَا بِجَسَدِهِ الَّذِي أَنهَارَ فَجَاءَهُ فَوْقَ مَسَامِيرِ
حِدَّتِهَا، لِهَذَا حِينَ بَدَأَ عِلَاقَتَهُ بِالْجَسَدِ/ الْأُنْثَى، ظَلَّ قَلْبُهُ خَافِتًا
هَنَاكَ عِنْدَ أَوَّلِ لِقَاءِ بِهَا حِينَ اعْتَرَتْهُ فَجَاءَةً رَغْبَةُ الْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ
الْحَادِّ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَخَطَّى جَسَدَهُ لَكِنَّهُ بَعْدَ لِحْظَاتٍ اسْتَسَلَّمَ
لِلنُّومِ الَّذِي أَرَقَّ حِسَّهُ الْعَالِي.

هو اليوم يملأ بيته بأزانبِ خمسٍ عبرَ زواجٍ دامَ طويلاً من الغضبِ والشجارِ ولم يبقَ سِوَايَ أبتلعَ ترهلي معهما.

لقد لاحظتُ في لقائِي الأوَّلِ بها ترهَلَ يَدِي، ثم لاحظتُ في لقائِها الثاني ترهَلَ وَجْهِي، أما قَلْبِي فَظَلَّ بَعِيدًا عن مَلاحَظَتِهَا الَّتِي تُحزُنِي.. قَالَتْ لِي إِنَّ عَاطِفَتِي الَّتِي أَمَدُّهَا صَوْبَ رِيحِ عَاصِفَةٍ مُترَهِّلَةٍ تَمَامًا مِثْلُ يَدِي الَّتِي تترَهَّلُ حِينَ أُمسِكُ يَدِهَا وَأَضْمُهَا فَتَشِيخُ فِي عِنَاقِهَا، وَتُحزِنِي بِأَنَّ وَجْهِي عَن قُرْبٍ يُدْكَرُهَا بِوَجْهِ الكَلْبِ الأَلِيفِ، وَأَنَّهَا كَلَّمَا جالَسْتَنِي أَحسَّتْ بِأَنَّهَا ذَاتُ عَلاقَاتٍ غَريبةٍ مع الحَيواناتِ... تِلْكَ الَّتِي تبتَسِمُ دائِماً لِلمرآةِ الَّتِي تَأْكُلُ نِصْفَ يَوْمِهَا.

تِلْكَ السَّاحِرَةُ الَّتِي مَزَّقَتْ صُراخِي وانطوتْ على كِتْمَانٍ أَمْرٍ ما، تِلْكَ الواقِفَةُ فِي لِحْظَةٍ منذُ أَكثَرَ من عُمُرِها
الواهِنَةُ - السَّاقِطَةُ فِي بَرَكةٍ تَنزُ حُزُنًا عَفِنًا
تَسِيرُ فِي دَاخلِي حَذوِي وَأنا مَعها خَارجَ المَطرِ.

الطُيُورُ ذَاتُ الأَجْجِحَةِ المِلوَنَةِ فِي أَحلامِي، التَّوافِذُ مُعلَقَةٌ عَلى سَرائِرِ بلا نَوافِذٍ وَأنا أَظَلُّ مَعَ هَذيِنِ الصنَمينِ.. كَلَّ يَومٌ أَدْخِلُ

أحدهما تشيؤُهُ، ثم أحملُ الآخرَ بعدهُ وبعدَ أن أضَعَهُمَا في
غُرْفَةِ المَعِيشَةِ ذَاتِ الأَثَاثِ القَدِيمِ قَبْلَ ولادَتِي وَالَّذِي ظَلَّ
يَحْمِلُ جَسَدِيهِمَا عَلِيهِ طِيلَةَ هَذِهِ الأَعْوَامِ دُونَ أن يَنْهَارَ هُوَ
الآخِرُ... بعدَ أن أضَعَهُمَا في هَيْئَةٍ رَاكِدَةٍ تَمَامًا، أُحْضِرُ أَوْرَاقًا
كثيرةً وَأَقْلَامًا كَي أَرْسَمَ بَعْضَ الحَرَكَةِ في المَكَانِ.

كَانَ الطَّائِرُ ذُو الجَنَاحِ الأَخْضَرِ المَمْرُوجِ بِالحُمْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ فَوْقَ
رَأْسِي وَكُنْتُ أَسِيرُ بِجَانِبِي، طَارَ الطَّائِرُ ذُو الجَنَاحِ الأَخْضَرِ عَنِّي
قَلْتُ سَيَحُلُّ عَلَيَّ كِتْفِي، طَارَ وَلَمْ يَحُلْ، تَرَكَنِي في تِلْكَ
المِسَاحَةِ الوَاسِعَةِ بصدَايَ وَحْدِي.

جَمَعُ مِنَ الطُّيُورِ الخَضْرَاءِ ذَاتِ الأَجْنِحَةِ المُحْمَرَّةِ يَأْتِي الآنَ
ليَكُونَ كَثَافَةً تَلِيْقُ بِبُكَائِي.

(لقد هَمَّنِي أن تَكُونَ هُنَاكَ حَرَكَةً دَاخِلِيَّةً يَتَصَبَّبُ مِنْ خِلَالِهَا
العَرَقُ كَي يَهْزِمَنِي الشَّعْرُ).

.....

عَلَى وَجْهِهِ - عِبَاءَةُ الخَشُونَةِ

عَلَى ذَاكِرَةٍ - رَجْفَةٌ سَوْدَاءُ

خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ عَامًا
خَمْسٌ فِي الْيَدِ الْمَمْرَغَةِ فِي طِينِ الْبُحَيْرَاتِ الْمُرَّةِ
وَعِشْرُونَ طَائِرًا يُهَاجِرُونَ نَحْوَ تَصَبُّبِ الْعَرَقِ فِي بَسْرِ عَاتِمَةٍ.
مَا وَرَاءَ الْعَالِمِ ... لَا أَحَدٌ
ثَلَاثٌ نِسْوَةٌ سُودٍ يَفْتَضُّهِنَّ أَبْيَضُ
رَجُلَانِ، كُنْتُ أَحَدَهُمَا، وَالْآخَرُ شَيْهِي وَلَا عَلاَقَةَ لَنَا بَعْضِنَا
خَمْسَةٌ تَوَارِيخٌ مُتَوَازِيَةٌ وَفِي بَعْضِهَا تَدَاخُلٌ وَدُمْلٌ يَنْزُ
تَرْبِيطَةٌ لِرَجُلٍ غُفْلٍ عَائِدًا لِتَوِّهِ
فِي الصَّيْدِ لِأَلْيُ لَيْسَتْ لَهُ
بِرُّهُ عَلَيْهِ دِمَاءٌ مِنْ بَكَارَةِ حُلْمِهِ
وَأَمْرَأَتُهُ النَّائِمَةُ الْآنَ عَاقِرٌ،
وَذَاتُ حَيْضٍ وَفِيرٍ،
وَذَاتُ أَطْفَالٍ خَمْسَةٍ
مِنْ رَيْثِهَا تَسْفُ الْحَلِيبُ
مَنْ يَقِينُهَا تَخْرُجُ مُهْرَوْلَةً مَرَايَا تَفْضَحُ وَجْهَهُ
وَعِنْدَ مَوْتِهِ

تَسْقُطُ الِيدَانِ مُثْقَلَتَيْنِ بِالنَّزْفِ، وَيَخْرُجُ الْبُوحُ أَسْئَلَةً حَيْرَى
وَالْجَسَدُ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْقَدِيمُ مِنْذُ أَوَّلِ التَّارِيخِ
ذَلِكَ الْإِلَهَ الْبَارُّ بِشَهَوَاتِهِ الْمُخْلِصَةَ
ذَلِكَ الْمَادَّةُ الْمُتَشَطِّبَةُ فِي الْكُونِ
يَنْفَتَحُ

هَذَا الْمُحَارِبُ الْمَمْتَشِقُ سَلْهَبًا عَلَى أَرْضٍ تَفْتَتَ دَوْرَانُهَا بِالتَّلَوُّثِ
وَبِأَبْجَدِيَّاتٍ جَدِيدَةٍ
وَلِأَنَّهُ يَسْقُطُ فِي مَحْنَتِهِ، يَسْقُطُ فَارِعًا
الِيدَانِ.. تَسْقُطَانِ إِلَى السَّمَاءِ كَقُوَّةٍ مَدْفَعٍ مُصَوَّبٍ
الِيدَانِ الْمَيْتَانِ تُمَسِكَانِ الْهَوَاءَ
وَلِأَنَّ السَّتَارَةَ الْآنَ لَيْسَتْ حَمْرَاءَ
سَتَحْمَرُّ الْأَسْمَاكُ الشَّرِيرَةُ، وَيَخْرُجُ مِنَ الْقَمِ مَا يُبُوخُ بِهِ زَبْدًا
يَتَكَاثَرُ وَيُرْعَى..
(التَّارِيخُ سَيْفٌ، وَالْأَرْضُ الْمَكْتَنَزَةُ مَفْصُولَةٌ عَنِ جُغْرَافِيَّتِهَا).

-

حِينَ قَوَّضَ شَهْوَةَ مَوْتِهِ تَدَلَّتْ أَشْخَاصٌ مِنْ رُؤَاهُ وَنَوَاقِيسُ

دَلَفْتُ عَلَى لِحْظَةِ الرَّعْشَةِ.

لَمْ يَكُنْ مُزْدَهَرًا وَجِيدًا، بَاخِسًا لِحِظَتَهُ وَمَنْقُوصًا فِي اسْتِيبَاهِ الرِّيحِ
سَقَطَ هَكَذَا فَجَاءَهُ، لَمْ يَأْلَفْ مَسْقَطَهُ، لَذَا صَارَ جَسَدُهُ كَأَنَّهُ لَهُ.

عِنْدَمَا رَأَوْهُ تَشَتَّتُوا فِي انْعِطَافِهِمْ نَحْوَ سُؤَالِهِمْ عَنْهُ
كَانَ حَفِيفُ الشَّجَرِ بَاهِظًا، وَكَانَ حَشْدٌ مِنَ الْأَجْسَادِ الْمَكْتَبَةِ
فِي تَرْيُثِهِمْ.

الْأَحْمَرُ التَّارِيُّ عَلَى اِزْرَقِ الْجَسَدِ يَفْضَحُ شَهْوَتَهُ لِمَوْتِ غَائِرٍ
فِي تَفَاصِيلِهِ

تَسِيرُ امْرَأَةٌ يَضُمُّهَا حَيْزٌ مِنَ الضِّيْقِ، وَبَيْنَ تَدْيِينِهَا يَكْمُنُ ضَمِيرٌ
صَالِحٌ لِأَن يَهْتَرِيَّ.

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْفَائِرَةُ بِرَعْشَةٍ، خَذَلِي، كَانَتْ تَتَقَافَزُ كِبُومَةٍ ذَاتِ
بُقْعِ بُنْيَةٍ عَلَى صَلَابَةِ الْخَوْفِ، وَعَلَى رَغْبَتِهَا الْحَمَقَاءُ.

إِنَّهَا تَمِيلُ بِجَذْعِهَا كُلَّمَا مَشَتْ مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْبُوقِ الْفَارِغِ،
وَالشَّجَرِ الْمَحْنِيِّ مَعَهَا يَابِسٌ الْآنَ بَعْدَ أَنْ اكْتَشَفَ رَغْبَتَهُ فِي أَنْ
يَظَلَّ يُمَارِسُ طُقُوسَ خَلْقِهِ لَا طُقُوسَهَا...

وعِنْدَ اخْتِفَائِهَا - تِلْكَ الْحَمْرَاءُ فِي الْغَابَةِ - لَمْ يَبْحَثْ عَنْهَا،
وَلَمْ يَجِدْ كِنَايَةً لَهَا.. اللَّغَةُ لَمْ تَفْضَحْهَا.. رُبَّمَا انْدَرَجَتْ تَحْتَ
تَسْمِيَّاتٍ أُخَرَ، رُبَّمَا صَارَتِ النَّارَ الَّتِي تَلْتَهِبُ أَحْشَاءُهَا كُلَّ حِينٍ
فِي الْغَابَةِ، وَرُبَّمَا أَنَّ كِتَابَتَهَا عَلَى الْجُدْرَانِ فِي الْكُهُوفِ الْبَعِيدَةِ
لَمْ تَعَهَا، وَلَمْ تُخْلَفْ وَرَاءَهَا أَطْفَالًا يُعِيقُونَهَا عَنِ الْحَرَكَةِ، لَكِنَّ
الرَّجُلَ النَّائِمَ فِي أَحْشَائِهَا كَانَ يَشْتَأْفُهَا كَثِيرًا وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ فِي
تِلْكَ الْغَابَةِ الَّتِي تَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ سَرِيرِهِ الْبَارِدِ.

الْمَرْأَةُ ذَاتُ السَّرْوَالِ الْأَحْمَرِ، يَغُوصُ فِي فِتْنَتِهَا، وَحَطُّ أَسْوَدُ
يَمُرُّ عَلَى جَسَدٍ مِنْ رُجَاجٍ حَادِّ الْفِرَاقِ، وَثَمَّةٌ ابْتَعَاثٌ آخَرُ لِغَيْرِ
الْقَلْبِ وَأَمْنِيَّةٌ جَسَدِهِ الْمَهْدَرِ.

رُبَّمَا سَيَظُلُّ يَذْكُرُهَا كُلَّمَا ضَاجَعَ امْرَأَةً أُخْرَى لَا تُشْبِهُهَا فِي نَفْسِ
الْبَيْتِ وَنَفْسِ الْمَكَانِ، وَرُبَّمَا سَيَعِيشُ أَيَّضًا وَسَتَظُلُّ مَحَبَّتُهُ
مُقْتَصِدَةً بِهَا، وَلَنْ يَمُوتَ دُونَهَا.

حِينَ حَمَلُوهُ، رَأَيْتَهُ، كُنْتُ أَحَدَهُمْ، لَمْ تُكُنْ يَدَاهُ ضِدَّهُ وَلَا حِدْوَةٌ
الْحِصَانِ الَّتِي يَحْمِلُهَا فِي جَيْبِ بِنطَالِهِ قَدْ سَقَطَتْ لِتَوَّهَا، لَذَا

كَانَ وَجْهُهُ فِي اتِّجَاهِ مَنَابِعِ الدَّفْقَةِ الْأُولَى، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَحِبُّهَا لَا
تَسْقُطُ بِسُقُوطِهِ، وَلَا سَمَاكَةُ الْقَمِيصِ قَد تَهَرَّاتُ.

لَمْ يَكُنْ سُقُوطُهُ الْيَوْمَ إِذْنُ سِوَى اقْتِصَادٍ فِي اهْتِزَازِ الْبَيْتِ كَقِيَمَةِ
بَارْتِيَاكِيهِ نَحْوَهَا، وَتَفْكِيكِ فِي اللُّغَةِ.

وَأذْكَرُ أَنَّنِي كُنْتُ أَتَحَدَّثُ كَثِيرًا مَعَ صَدِيقٍ لَا أَفْهَمُهُ وَيَتَخَلَّلُنِي
وَلَا يَحِبُّنِي، وَأَدْخَلُ عَاطِفَتَهُ الْمَشْبَعَةَ بِالتَّوْحُدِ عَنِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ
الْيَوْمِيَّةِ فِي الْمَكَانِ الْحَادِّ، وَعَنْ هَذَا الْمَوْتِ الَّذِي يُفْكَكُ
تَرَائِيْبَ قِيَمِنَا الَّتِي انْتَهَرْتُ طَوِيلًا، وَيُخْلِخِلُ صَرَامَةَ أَبْجَدِيَّاتِنَا
حَتَّى ظَلَلْنَا نَتَحَرَّكُ فِي أَمَاكِنِنَا طَوَالَ الْيَوْمِ ثُمَّ مَا لَبَّثْنَا أَنْ غَيَّرْنَا
ذَلِكَ الْمَكَانَ الضَّيِّقَ إِلَى اتِّسَاعِ الرُّوحِ.

التَّجَاعِيدُ عَلَى الْجُدْرَانِ

بَدءًا من نَهَارٍ جَامِدٍ وانْتِهَاءً بِرَمَادٍ مَذْرُورٍ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، بِالْمَطْرِ
الثَّكَلِ لَانْطِلَاقَةِ رِيحٍ - سَمَاءً بِلا رِعْشَةٍ تَفْتَحُ الْجَسَدَ لَانْطِلَاقَةِ
الرُّوحِ - وَالصَّوْتُ بَيِّدَقٌ مُرَاوِعٌ.

هَكَذَا يَسْتَحِمُّ فِي بَحْرِ، مَوْجُهُ يُقْتَرِبُ مِنَ الصَّوْتِ، يَهْبُ فِي
خُشُونَةِ الزَّبَدِ صَارِحًا - الصَّوْتُ بوقٌ - إِنَّهُ يَبْتَعِدُ عَن تَشْكَلِ
لُغْتِهِ تَلَكَ الْمُحْمُومَةِ بِاللَّهَبِ الْخَارِجِ مِنْ جَوْفِهِ.

عَالِقٌ وَجْهُهُ بِوَجْهِ الْبَيْتِ، واقِفٌ عَلَى عَتَبَةِ بَابٍ مُشَخَّصٍ، حِينَ
وَقَفَ قُبَالَتِهِ تَدَلَّتْ ذَاكِرَةٌ لَمْ تُكُنْ لَهُ، وَجَدَ نَفْسَهُ يَعْرِفُهَا، وَهَذَا
الْبَابُ الْمَقَابِلُ وَجَدَهُ عَلَى عَلاَقَةٍ سَرِيَّةٍ بِهِ، لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّ
ذَاكِرَةً مَا وَطِنَتْهُ وَتَشَعَّبَتْ فِي حَوَاسِهِ الدَّقِيقَةَ.

آه لَوْ تَسْتَرِيحُ التَّجَاعِيدُ عَلَى الْجُدْرَانِ.

فَمَا الَّذِي يَعْنِيهِ الْمَكَانُ؟؟

ابتداءً للذَّاكِرَةِ تَنْهَشُ قُطْعَانُ مِنَ الْمَاشِيَةِ تَسِيرُ إِلَى مَنَبَعِ مَاءٍ
وَعُشْبٍ فِي الْوَادِي الْمُنْحَدِرِ فِي الضَّفَّةِ الْأُخْرَى، وَالَّذِي يَنْدَرِجُ
فِي أَسْفَلِ التَّكْوِينِ الْأَنْثَوِيِّ لَجَسَدِ امْرَأَةٍ نَائِمَةٍ فِي الْعَرَاءِ. نَوَافِدُ
بَيْتِهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَى رَجُلٍ سَاهِرٍ عَلَى شَهْوَتِهَا، نَوَافِدُ حُزْنِهَا بَاقِيَةٌ
لِلْأَبْدِ تَفُورُ، مُلَوْنَةٌ بِالزُّجَاجِ الْمَهْشَمِ وَالْبَيْلَسَانَ.

فَمَا الَّذِي يَعْنِيهِ هَذَا الرُّمُحُ مَغْمُوسًا فِي الْكَأْسِ؟

مَا الَّذِي يَطْرُحُهُ الْمَكَانُ السَّاكِنُ فِي الطَّقْسِ؟

الْأَرْفُفُ بَدْبِيئِهَا تَهَشُّ ذُبَابَ التُّرَابِ عَنِ الْكُتُبِ النَّائِمَةِ فِي
الْمَنَافِي الْبَعِيدَةِ عَنِ الْأَيْدِي - النَّاهِشَةُ
الرَّائِحَةُ: وَشَيْخُ الرِّيحِ فِي الطُّرُقَاتِ الْبَالِيَةِ.

تُعَابِينُ تَنْسَلُ حَفِيَّةً مِنْ بَيْنِ فُحُودِ الْبَيْتِ لَتَنْتَشِرَ فِي الزَّوَايَا
وَالْأَسْفُفِ السَّاقِطَةِ.

سَمِعْتُ الزَّوَايَا تُحَادِثُ أَرْجُلًا بَقُرْبِهَا أَنْ تَلْمَسَهَا بِدِفءٍ كَي
يَخْرُجَ مِنْ جَسَدِهَا الْبَرْدُ، وَتَنْفَصِّدُ أَسَارِيهَا بِالشَّقُوقِ الْكَثِيرَةِ.
سَمِعْتُ الطُّرُقَةَ الْوَثِيرَةَ بَأَنَّ رَجُلًا كَانَ يَصَاحِجُهَا فِي لَيْلِ نَزْفِهَا؛

فإذا ما جاء النَّهَارُ حَمَلَ جَسَدَهُ - السَّكِينِ كِي يَنَامَ بِجَانِبِ
امْرَأَتِهِ الْعَافِلَةِ فِي السَّرِيرِ، وَلَمْ يَدْرِ يَوْمًا أَنَّ الْمَرْأَةَ الطُّرْقَةَ الَّتِي
يَدُوسُهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي عَضْوٍ مُخْتَلِفٍ، زِيَادَةً لِلإِغَالِ فِي الأَلَمِ، تَلُمُ
خَيْوِطَ جَسَدِهَا فِي اللَّيْلِ سِجَادَةً وَسِتَارَةً مَقْطُوعَةً - بِشَقِّ عَرْضِيٍّ
فِي رِئْتَيْهَا - إِذَا مَا جَاءَ النَّهَارُ.

-

مِنَ البَيْتِ يَسْقُطُ، مِنْ عَاطِفَةٍ بِشَوْكِهَا، لِيَقَعَ فِيمَا لَا يَعْرِفُهُ جُرَافًا
وَيَمْتَصَّ عَادَاتِهِ فِي الرُّكُودِ فِيهِ (سَيَعُودُ لِسُكُونِهِ).
البَيْتُ حِضْنٌ وَاسِعٌ وَبَارِدٌ، النِّوَافِذُ عَلَى بَحْرِ "مَرْكُونٍ" تَحْتَ
القَمِيصِ وَحُمَى الغِنَاءِ الجَمَاعِيِّ تَقِيهِ بُرُودَةَ هَذَا البَيْتِ.
البَيْتُ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ الأَبُ مُسْتَرِيحًا لِأَنَّهُ رَبُّ العَائِلَةِ، والأُمُّ الَّتِي
تَظَلُّ تَطْحَنُ الشَّعِيرَ بِالصَّبْرِ وَاللِّيَالِي كِي يَقُومَ ابْنُهَا مِنْ تَشْرُنْقِهِ،
وَكِي تَزْفُ ابْنَتَهَا الوَحِيدَةَ إِلَى حُلْمٍ تَظُنُّهُ أبيضَ، هُوَ البَيْتُ الَّذِي
بِلا سِتَائِرٍ يَسْتَرِيحُ الصَّوْتُ فِيهَا... فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ وَطَنٌ كَبِيرٌ
لِلعَائِلَةِ، تِلْكَ السَّائِرَةُ فِي دُرُوبٍ مُتَاكِلَةٍ.

عِنْدَ دُخُولِهِ الْبَيْتَ، الْوَقْتُ كَانَ ضُحَى، الْقَدَمَانِ كَانَتَا وَسْطَ
الطَّرِيقِ سِكِّينَتَيْنِ مَغْرُوسَتَيْنِ فِي لَحْمِ الْأَرْضِ، وَجَلَجَلَةُ الصَّوْتِ
بُدُورًا... خَلَفَ هَذَا الْبَيْتَ أَجْسَادُ حُرَّةٍ.

لَتَسْمَعَنِي بِشَفْتَيْكَ هَلْ تَرَى الْكَلَامَ؟

هَآكَ عَادًا.. الظُّلُّ الَّذِي كُنَّا احْتَمَيْنَا تَحْتَ جَنَاحِهِ الْمَكْسُورِ فِي
أُغْنِيَةٍ سَادَجَةٍ.

فِي الْمَقْهَى أَبْصَرَ أَنَّهُ أَهْلٌ لَشِقَاءِ نَفْسِهِ، وَجَسَدُهُ الَّذِي يَخْرُجُ
مِنْ بَيْنِ أَحْرَاشٍ وَأَنْقَاضٍ، سَطَّرَ عَلَى وَرَقٍ بِلا كِتَابَةٍ، وَفِي الْمَسَاءِ
الْبَهِيمِ، حِينَ عَادَ إِلَى الْبَيْتِ وَحِيدًا وَضَالًّا لَمْ يَكْتُمِ رَغْبَتَهُ فِي
الرَّعِيقِ كُغْرَابٍ مَاتَ مِنْذُ لِحْظَاتٍ تَحْتَ أَقْدَامِهِ فِي الطَّرِيقِ.

لِهَذَا ظَلَّتِ الشَّبَابِيكُ مَكْسُورَةً بِالرُّجَاجِ فَدَخَلَ الْمَطْرُ وَالْبَرْدُ إِلَى
مَسَامِّ الْغُرْفَةِ.. الْغُرْفَةُ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ أَطْوَالَهَا وَلَا ارْتِفَاعَهَا فَوْقَ
رَأْسِهِ، نَفْسُهَا الَّتِي احْتَالَ عَلَيْهَا وَأَشْعَلَ فِيهَا رَغْبَتَهُ ثُمَّ غَادَرَ
أَنْوَتَهَا فِيهِ، نَفْسُهَا الَّتِي أَسْمَعُ تَنْفُسَهَا فِي عَيْنَيْهِ وَتَهْرُبُ مِنْ
الْمُنْزَلِقِينَ فِي خَيْطِ حَنَانِهِ.

لَمْ تَكْتَمَلِ الْعَجِيعَةُ بِاِكْتِمَالِ الْمَشْهَدِ، ثَمَّةَ انْفِصَالٍ بَيْنَ كُتْلَةِ
الرَّصَاصِ وَزَنَايِنَ بِأَفْرَادٍ مُكَمَّمِينَ يَجُوبُونَ تَنْفُسَهُمْ فِي مَكَانٍ
وَاحِدٍ.

يا إلهَ هَذَا الْبَيْتِ - الْبَيْتِ الْمُنْهَارِ

الصَّوْتِ الْمَجْلُجِ فِي الرُّدْهَاتِ، وَالصُّورِ عَلَى الْجُدْرَانِ
حِينَ سَتَنْفُكُ دَلَالَتُكَ الْأُولَى يَنْهَارُ سَقْفُ الْبَيْتِ وَالْقَمْعُ
وَالنَّحَاسُ، وَسِينَهَارُ حُنُوكِ الْمِبْعَثُ فِي الْأَرْكَانِ وَبَيْنَ الرُّوَايَا.
طَلَّاسِمُهُ الَّتِي تُعِيقُ الْحَرَكَةَ دَاخِلَ الْبَيْتِ سَتَنْقَشُرُ حِينَ تَجْفُ.
وَرَيْتُ الْأَسْقَفَ حَاجِزٌ عَنِ جَلْبِ اخْتِلَالِ كَلِمَاتِنَا، نَسِيحٌ يَلْتَفُ
عَلَى أَجْسَادِنَا كِي نَجْمُدَ فِيهِ.
التَّفْكِيكُ سِكِينَةٌ مَاضِيَةٌ.

مَأْمَنُ النَّفْسِ مِنْ تَجَاعِيدِ الْيَوْمِيِّ الْمَضْطَرِبِ، مَهْرَبُ الْجَسَدِ حِينَ
لَا يَأْخُذُ حُرْبَتَهُ فِي الْحَرَكَةِ، وَتِلْكَ الطَّرُقُ الْمَعْبُدَةُ الَّتِي تَبْدَأُ مِنْ
امْتِدَادِ الشُّوْكِ الْاجْتِمَاعِيِّ إِلَى الْبَيْتِ.

تِلْكَ الطَّرُقُ الَّتِي لَا مَزَالِقَ فِيهَا وَلَا انْحِنَاءَاتٍ، تِلْكَ الَّتِي لَا تُقِيمُ
لِلْإِنْسَانِ الْخَاصَّ مَنَافِدًا، وَلَا لِعُنُونِهِ الْمُخَالَفِ لِلْأَعْرَافِ شَبَابِيكَ،

تِلْكَ الطُّرُقُ لَا بُدَّ مِنْ تَحْطِيمِهَا وَتَعْبِيدِ طُرُقٍ بَعِيدَةٍ فِي الْغَابَاتِ
وَالْأَحْرَاشِ.

اختبارُ اليقينِ بالظنِّ، اجتياحُ الحلمِ بالرؤيةِ المحضَةِ

عُرْفَةٌ حَدَوُ عُرْفَةٍ، بَابٌ مَوْصُودٌ عَلَى بَابِ مَفْتُوحٍ، شَبَابِيكُ مِنْ
الْحَدِيدِ وَالذِّكْرِيَّاتِ، وَخَشَبٌ تَأْكُلُهُ الْحَيْرَةُ، مَطْبُخٌ مُضَادٌّ
لِلذَّاكِرَةِ، وَسَلَّمٌ مِنَ الْحَبِّ مَبْنِيٌّ إِلَى الرُّوحِ.
حِينَ تَدْخُلُنِي الشَّمْسُ أُسْتَظِلُّ بِالْيَاقُوتِ فِيهِ، وَحِينَ تَغِيبُ فِيَّ
أُبَعَثُ اللَّيْلَ عَلَى شِتَائِهِ الْمُمِيتِ.
لِلبَيْتِ رَائِحَةُ الْبُكَاءِ وَطَعْمُ الزَّنَجَبِيلِ، هُوَ مَاوَايَ وَمَلَجَتِي مِنْ
تَلَجِ الْعَمْرِ وَتَرَائِكِمِ الذَّاكِرَةِ كَالزَّيْتِ عَلَى جُدْرَانِهِ الْمَشَقَّةِ.
فَالْبَيْتُ مُفْرَدٌ، وَشَخْصٌ ثَالِثٌ فِي الْعِلَاقَةِ، وَالْبَيْتُ مَقْبَرَةٌ مُهْدَمَةٌ
وَقَبْرَةٌ تَصِيحُ فِي صَبَاحِي وَحِينَ أَنْهَضُ يَكُونُ لِلْبَيْتِ اخْتِبَارُ

اليقين بالظنّ، واجتياح الحُلم بالرؤية المحضّة، وتشكيل اليوم
بالأوعية والمنافض والمياه الدافئة.

فالبَيْتُ بَابٌ أَحْيِرٌ عَلَى الْعُمُرِ الْمُقْضِيِّ فِي الطَّرْقَةِ ِ بَيْنَ عُرْفَةٍ
تَلُمُّ شَعَثَ نَوْمِكَ، وَعُرْفَةٍ تَصُبُّ مَاءَهَا كِي تَخْرُجَ الشَّرَاشِفُ
وَالْأَحْلَامُ مِنْ أَطَافِرِ الْقَدَمِ إِلَى حَنْجَرَتِهَا.

والبَيْتُ مَقْتَلٌ لَنَا وَتَجْمَعُ فِيهِ وَتَرَكَمُ، نُلَاقِي الرِّيحَ فِي البَيْتِ كَمَا
الْأَبْوَابُ وَالْأَجْسَادُ وَالْكَرَاسِيُّ، وَالسَّرِيرُ إِذْ نَنَامُ عَلَيْهِ، وَالْجُدْرَانُ
تَمُنَحْنَا بَعْضَ ظِلِّهَا وَلَوْنِهَا.

البَيْتُ يَضْمُنُ.. هُوَ الْمَأْوَى وَالْمَثْوَى، هُوَ إِذْ يَأْتِي الصُّبْحُ نَافِذَةٌ،
وَإِذْ تَنْعَمِسُ الْأَرْوَاحُ فِي صَدَاهَا يُشْعَلُ الصَّوَاءَ فِيهَا.

العزلة في البيت والتجمع مجزوء بتراتبه، تدخله المحبة من
شقوقه، إن دخلت، والجدران تزحف كي تضيق عليك، فهو
السكينة والضوضاء فيه.

والبَيْتُ سَتَائِرُ حَمْرَاءُ مِثَالَةٌ، وَأَلْوَاخُ مِنَ الْخَشَبِ النَّائِمِ فِي
الْحِرَانَةِ، أَلْوَاخُ مِنَ الْخَشَبِ الْمُرَاكِمِ فِي صَدَايَ.

هو مدفأة في شتاء رُوحِي، وهو أشلاء، ومجزرة، شجرة لا تحنو
على ثمارها فستقط، وظل لا يتبع ظليله.

—

هو بيتي... رؤاي من خلالي والتنفس في.
هو البيت المقدس ولا بيت لي.
كأنه المهذوم على قمّة رأسي، والأب العجوز واقف أمام تسرّبي في
الصُراخ.. أو كأنه كُله غرفة واحدة تضم أشخاصًا.

المسطور

رائحة الزعفران، نريف الدم

الحِصْنُ: بَيْتٌ لَمْ يَكُنْ، ذَاكِرَةٌ لِتَارِيخٍ مُوْغِلٍ بِأَقْدَامِهِ فِي طَمِي
الْقِدَمِ. حِينَ أُخْرِجَ مِنْهُ يَنْهَدُمُ الْبِنَاءُ دَاخِلِي كَمَا الْخَارِجُ
الْمَهْدُومُ، وَحِينَ أُبْنَى بَيْتِي الْجَدِيدَ بِلَا أَسْقَفٍ وَلَا جُدْرَانٍ لَا
يَكُونُ صُورَةً لَهُ، لَا يَكُونُ شَكْلَ بِنَاءٍ يُعَادُ بِلْ بِنَاءٍ فِي الْجَسَدِ،
هَذَا الْجَسَدُ الْمَشْوُوهُ بِالْعَادَاتِ وَالْأَجْنِحَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تَطِيرُ.
ذُو الْبَوَابَةِ الَّتِي أَبْدُو بِجَانِبِهَا أَمَامَ حُكْمِ أَيْدِيِّ لِتَارِيخٍ يَجْرُنِي جَرًّا
إِلَى الْمَاضِي، حَيْثُ الْقَبَائِلُ تَنْزَحُ إِلَى الْخَلِيجِ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ
وَتَسْتَقْرُّ فِي السَّكَنِ هُنَا عِنْدَ بُورَةِ هَذَا الْبَابِ الْعَتِيدِ لِتَنْتَشِرَ رَائِحَةُ
الْفُرْقَةِ وَالنِّزَاعِ.

بِوَابَةٍ إِنْ خَرَجْتَ مِنْهَا لَاقَيْتَ حُرَيْتَكَ فِي الطَّرِيقِ، وَالْبَشْرُ
يَمْلَأُونَ حَلْقَهَا كَالْأَرْغِفَةِ اللَّيْنَةِ فِي الْقَمِ السَّمِينِ، أَمَا الطَّرِيدُ -
كَأَنَّهُ الْوَحْشُ - لَا يَدْخُلُ الْحِصْنَ إِلَّا فِي جَوْفِهِ كِي يُسَاقَ كُلَّ
يَوْمٍ فِي الظَّهيرةِ إِلَى أَحَدِ الْمِدْفَعِينَ الرَّابِضِينَ فِي الْخَلَاءِ أَمَامَهَا،
يَسْلُخُونَ جِلْدَهُ كِي يُجَلَّدَ مِنْ جَدِيدٍ.

ذُو الْحِجْرَاتِ الَّتِي تَسْمَعُ عَوِيلَ السُّجْنَاءِ فِي الْمَدْخَلِ، وَأَصْوَاتِ
الصَّغَارِ فِي الْبُهِوِّ، وَالْفُقَرَاءِ عِنْدَ سَاحْتِهِ الْأَمَامِيَّةِ، وَلَا تَسْمَعُ شَيْئًا
آخَرَ فِي الْمَمَرَاتِ الْبَعِيدَةِ وَالَّتِي تَخْتْفِي مِنَ الذَّاكِرَةِ كَالْخَفَافِيشِ.
الْحِصْنَ الَّذِي انْهَدَمَ أَوْ هَدَمُوهُ.. هُوَ ذَلِكَ الْجُزْءُ مِنَ التَّارِيخِ
الْخَاصِّ بِالْقَمْعِ وَالسُّلْطَةِ، وَذَلِكَ الْحُكْمُ الْعَتِيدُ فِي الْمَكَانِ
وَالرُّسُوحُ وَالثَّبَاتُ.. ثَبَاتٌ لَا يَدُومُ لِأَحَدٍ.

ذَلِكَ الَّذِي تَشُمُّ رَائِحَةَ الزَّعْفَرَانِ فِيهِ مِثْلَمَا تَشُمُّ رَائِحَةَ الدَّمِ،
وَالَّذِي يَحْفَرُ الطَّرْفَاتِ خَارِجَهُ، وَيُكْتَبُ التَّارِيخُ فِيهِ، وَعَلَى جَانِبَيْهِ
تَرَى الْمِدْفَعِينَ شَاهِرِينَ سِيُوفَ حَرَارَتِهِمَا فِي عِزِّ الظَّهيرةِ عَلَى
الْأَجْسَادِ الْمَلْتَصِقَةِ بِهِمَا، تِلْكَ الَّتِي تُدْمَعُ بِالْعِقَابِ.

هو الحِصْنُ الَّذِي تَحَصَّنَ أَجْدَادِي فِيهِ، وَنَامُوا، وَقَامُوا، وَفَتَحُوا
صُدُورَهُمْ لِلْقِتَالِ، وَمَاتُوا.. تَنَارَعُوا وَتَحَاكَمُوا، قَاتَلُوا وَانْقَتَلُوا،
وهو الَّذِي طُبِعَ بِالسُّلْطَةِ وَالنِّزَاعِ.

يَمْدُ جُسُورَ مَحَبَّتِهِ لَشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ كَانَتْ بِنَفْسِ عُمَرِهِ، شَجَرَةٌ
لَا تَمْلِكُ مِنَ السُّلْطَةِ غَيْرَ الْمَحَبَّةِ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَلْفِظُهُ الْحِصْنَ
يَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا.

كَانَا كَعُجُوزَيْنِ أَحْدَيْنِ، كَشَارَتَيْنِ فِي الْخَلَاءِ.
يُقَالُ إِنَّهُمَا تَحَابَّتا مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ.

وَيُقَالُ إِنَّ مَنْ يَلْفِظُهُ الْحِصْنَ كَانَتْ الرُّولَةُ، وَهُوَ اسْمُهَا، أَرَأَفَ
عَلَيْهِ مِنْهُ.

حِينَ سَقَطَ الْحِصْنُ، سَقَطَتْ بَعْدَهُ وَانْسَحَبَ التَّارِيخُ مِنْ بُيُوتِنَا
لِيُظَلَّ تَارِيخًا لَنَا مَسْطُورًا بَيْنَ طَيَّاتِ الْحَدِيثِ.

الْحِصْنُ لَا يَبْدَأُ التَّارِيخَ مِنْهُ سِوَى فِي الْجَزْءِ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَةِ،
يَخْضَعُ لِمَنْ فِيهِ الْحُكْمُ وَالْجَوَارِي وَالْأَغْلَالُ.

ذُو الْحِجْرَاتِ الْكَثِيرَةِ وَالْمَمَرَّاتِ الضَّيِّقَةِ، يَمَلَأُ رَائِحَتَهُ رَائِحَةَ
الْبَحْرِ وَالْأَسْمَاكِ.

جُدْرَانُهُ تَشَقَّقَتْ عَنِ الْقَوْلِ الْمُحَكِّيِّ فِيهِ، وَعَنْ خُدُوشِ الْأَظَافِرِ
الَّتِي تَهْرَأَتْ.

أَبْوَابُهُ أَصْوَاتُهَا مُجَلِّجَةٌ فِي فَتْحِهَا وَإِنْعِلَاقِهَا عَلَى مَنْ فِيهَا وَلَا
مَفَاتِيحَ لَهَا.

سَلَالِمُهُ.. لَا أَدْكُرُهَا سِوَى ذَلِكَ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِكَ إِلَى السَّمَاءِ
حَيْثُ غُرْفَةٌ وَحِيدَةٌ إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهَا لَا تَعُودُ - مِنْ عَلَيْهَا
سَقَطْتُ فِي حُسْبَانِ الْخَوْفِ، وَمَنْ رَجُلٍ، جُنْدِيٍّ بِلَا مَلَامَحٍ، زَجَرَ
طُفُولَتِي الْبَاكِئَةَ بِرُكْلِهِ تَارِيخِي بِقَدَمِهِ الْحَاكِمَةِ، كَانَ السُّلْطَنَةُ
الْفَعْلِيَّةَ آنَذَاكَ - هَذِهِ السَّلَالِمُ الَّتِي تُذَكِّرُنِي بِغُرْفَةٍ وَحِيدَةٍ مُنْزَوِيَّةٍ
تَهْبُ رِيحُهَا فِي تَكْوِينِ وَعْيِي.

أَمَّا السَّرِيرُ الَّذِي أَحْتَبِي تَحْتَهُ فَلَا أَعْرِفُ شَكْلَهُ الْآنَ سِوَى مَنْ
عُمِقَهُ... هَذِهِ إِحْدَى خَوَاصِّهِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ خَوَاصُّ أُخْرَى مُرَكَّبَةً،
وَلِي فِيهِ ذَلِكَ الْبِنَاءُ الشَّيْخُ الْآنَ خِصِيصَةٌ أُخْرَى أَنْ أَرَى نَفْسِي
مِنْ خِلَالِهِ، فَإِنْ خَرَجْتُ مِنْهُ رَأَيْتُنِي مِنْ خِلَالِ بَيْتٍ بَسِيطٍ
بِدَاخِلِي بِلَا مِدْفَعِينَ وَلَا سُجْنَاءَ يَتَأَوَّهُونَ طَوَالَ لَيْلِهِمْ وَصَلْصَلَةً
السَّلَاسِلِ فِي أَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا الْحَدُّ عَلَى الْعُنُقِ الْمَذْبُوحِ، وَبِلَا

شَعْبٍ وَلَا جُنُودٍ تُبْعَ، بِلَا بَشَرٍ كَثِيفَةٍ تَسُدُّ عَلَيْكَ رُؤْيَاكَ الْوَاحِدَةَ
 الْمَشْتَتَةَ أَوْ تَعْضُ عَيْنَكَ عَنِ الرَّؤْيَةِ الْمَفْرَدَةِ.
 (خُوصَه خُوصَه يَالنَّبُوصَه كِلَاجِ الدُّودِ مِنْ حُنُودِ لَيْنِ عَقَارِبِ
 لَيْنِ السُّودِ عَلِيَا عَلِيَا اعْطِينَا سَيْفِجَ، بِنَلَاجِيَه عِبْدِ اللّهِ، عِبْدِ اللّهِ
 بِنِ سُلْطَانِ لَادِغْتَنَه عَجْرَابِيَه، شَجْرَابِيَه دُوسَةَ خَيْلِ وَإِلَا مَطِيَه).
 تَهِيحُ الرُّوحُ كُلَّمَا هَدَّهَا الْبَيْتُ كَمَا كَانِ ثَابِتٍ مُمَيَّتٍ.

• أنتَ تَوَسَّسُ فِي الْبَيْتِ لِمَتَلِكِهِ، تَمَلَأُهُ بِمَا يَمَلَأُ نَفْسَكَ شُحْنَةً
 عَاطِفِيَةً نَحْوَ التَّرَاكِمِ، فَإِذَا مَا امْتَلَأَ بِهَا وَمَلَكَتَهُ، امْتَلَكَتَ بِمَا فِيهِ.
 • كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْقِدَ مَا تَمْتَلِكُهُ كَمَا تَفْقِدُ مَا لَا تَمْلِكُهُ، وَبِشَجَاعَةٍ،
 وَبُدُونِ مُوَارِبَةٍ، وَدُونَ خَوْفٍ أَوْ تَوَجُّسٍ إِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَفْقِدَ،
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَمْلِكَ ذَاتَكَ وَحَدَهَا مُقَابِلَ الْعَالَمِ، الدُّخُولَ فِي الْمَكَانِ
 - الْمَكَانِ الْحَيَوِيِّ - الْمَكَانِ التَّارِيخِيِّ، وَطَرَحَهُ فِي عَلاَقَاتٍ أُخْرَى
 مَخْتَلِفَةٍ وَمَعْكَوسَةٍ.

• الْمَكَانُ كِتَابِيٌّ فِي عَلاَقَتِهِ بِمَتَغْيِرَاتٍ عِدَّةٍ، عَلاَقَتُهُ بِالْقَدَمِ كَمَحْوَرٍ
 وَذُو قِيَمَةٍ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَبَارْتِبَاطِهَا بِالْمَكَانِ كِتَابِيٍّ وَمُشْتَتٍ فِي آنٍ
 وَاحِدٍ، الدُّخُولُ فِي عَلاَقَةٍ شَعْرِيَّةٍ بَيْنَ التَّارِيخِ فِي الْمَكَانِ: (التَّارِيخِ

المضطهد، الضدي، الباهت كفايت) و(التاريخ في ذاكرة القدم
التاريخ المتحرك)، تاريخين مختلفين لكن الرابطة بينهما هو وجود
القدم في المكان الخاص في اللحظة التاريخية الرابطة بينهما (بين
تاريخية القدم وتاريخية المكان) في تاريخية مشتركة لهما معاً.

سَلَامُ الرُّوحِ

وَأَسْتَجِدُّ بَرَّغَاتِي كَيْ تُنَجِدَنِي، كَيْ أُفْرِغَ فِي الصَّوْتِ نَحِيْبِي،
وَأَبْدَأُ الْمَوْتَ مِنْ بَدَايَةِ الْحَيَاةِ، وَكَأَنَّي أَوْلَى الْمُتَدَخِّرَاتِ عَلَيَّ
سَلَامِ الْفَوْضَى وَآخِرُ الْمَوْتَى أَنَا...

أَبْدَأُ فِي الرَّيْحِ كَيْ أَعْصِفَهَا وَأَرْجِعَ الْقَلْبَ لِلْغَتِي الْأُولَى حَيْثُ
الْأَسَاطِيرُ مُوْغَلَةٌ فِي ذَاكِرَتِي، وَالْحُبُّ تَرْسِيمَةٌ لِرَعْشَةِ طَائِرٍ لَا
يَضْمُنِي.

فَلَيْمِضْ بَبْغَاءَ بَرِيْشٍ مُبَلَّلٍ بِالنَّظْرَاتِ / رِيْشُهُ عَلَيَّ
ذَاكِرَةٌ مُوْغَلَةٌ كَالدَّانِيَاءِ

مُشْتَبِكَةٌ كَالرُّجَاجِ الْمَعْشَقِ فِي مَسَاحَاتِ الرَّيْشِ الْمَتَطَايِرِ بِنَفْسِ
دَافِيٍّ، بِصَوْتِ أَحْمَرَ مَمْسُوحٍ فِي الْأُفُقِ، بِالشَّقَقِ حِينَ يُضِيءُ فِي
النَّفْسِ الْمَتَاكِلَةِ بِالْوَحْدَةِ، وَبَطَّرِقِ مُتَخَلِّفَةً لِلْعَيْشِ تَمْنَحُنَا

مَسَاءَاتِ دَخِيلَةٍ، وبغزارة العرق في اليد - البئر، تلك الممدودة
على مدى البصر والمغروسة في الأرض - الشجر، وبطمي
العربات، والأطروحات الخنثى.

ذَاكِرَةٌ:

من الخروج مُفْتَتَةً جَسَدًا؛ بدأتُ علاقتي بالآخر المنعدم سِوَايَ
مُسْقِطَةً جُنُونَهُ فِي حَلْبَةِ ثَيْرَانٍ وَحَشِيَّةٍ، وَجَاسَةً نَبْضَ عِلَاقَاتِي
بِالصَّرْخَةِ الْمُنْفِلْتَةِ نَحْوَ فَيَافِي صَدَايِ..

آخِرِي لَيْسَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالسَّجِينِ الْهَارِبِ.

لَيْسَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالقَطَارَاتِ السَّرِيعَةِ تَهْرُبُ فَوْقَ جِسْرِ المَاءِ
تَارِكَةً صَدْرِي يَلْهَثُ مِنْ ضَيْقِ التَّنْفُسِ عَلَى أَرْصِفَةِ مَحَطَّاتِهِ،
وَمِنْ جَرِيَانِهِ فِي أَزْمَنَةِ الدَّهْشَةِ وَالْخَوْفِ.

لَيْسَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِمَا يَتَبَقَّى مِنْ أَذْرَعٍ يَهْوِي عَلَيْهَا سَيْفٌ حَادٌّ فَتَنْغَرُزُ
بَقَايَاهَا شَجْرًا يَهْطَلُ بِالوَحْدَةِ وَبِرَفْضِ الوَاقِعِ السَّدِيمِ...

أَسْبَقُ تَوَاجُدِي: عَالَمِي لَيْسَ عِنْدَ فَاصِلَةِ الجَسَدِ عَنِ آخِرِ
مُحَايِدٍ،

لَيْسَ مُبْتَدَأً فِي أَوَاخِرِ أَسْطُرِي.

عالمي لا وطن لا حد لا سيف
كون، دائرة فارغة من تسمية
والوطن: سداجة الفصل التعسفي إن انتهج شكل مُسدس
مُصوّب على وعينا.
هذا الوثن العابد في شكل إله،
هذا الجبل الراسي، والنخل
هو الوجه الثعلبي،
خلق الشكل من خلاله،
أي تصوّر يتوه فيه، وأي وعي يضيع منه.
إذن
ليكن البيت افتتاحاً لأوركسترا الفيضان وإدماً لجرح..
ليس لدي ما أخفيه عن سداجتي.
سأسقط المسابح في الصلاة، وأترك مساءاتي الدخيلة بلا
عتمة تفضّها.
يديّ محمّلتان بالعناق، وشهوة النفاصيل الدقيقة في يوتنا

البيوتُ - الوطنُ، البيوتُ - الحِسُّ، الارتقَابُ، القصيدةُ،
الجسدُ.

ليكنِ الغَيَانُ إيقَاطًا لوجعِ في النفسِ، وفورَانًا في الرُّوحِ كي تُعيدَ
تماسَّها.

البيتُ في آخرِ الكَلِمَاتِ سَكِينٌ سَتَنحدرُ في سَلالمِ الرُّوحِ
واشتقَاقَاتِها، سَتَنحُرُ في وَحدَتِي سُكونَها، وسَتوقِظُ الوجْهَ مِنْ
غَفوةٍ كالعَسَلِ المُصَفَّى، والأرْجوحةِ الطَّائرةِ، والحَلِيبِ.
فَمَا لم يَتَمَّ في اكْتِمَالِ مَادَّتِهِ يَنْفَصدُ مِنْهُ الآنَ دَمٌ مُلَوَّثٌ.

تَفَاصِيلُ

مُكَعَّبٌ ثَلَجٌ

الْبَيْتُ الْأَبْيَضُ مَائِلٌ أَمَامِي كَقِطَّةٍ بَيْضَاءَ
تَلْعُقُ بِلِسَانِهَا ثَلَجَهَا
وَيَظَلُّ مُكَعَّبٌ ثَلَجٌ يَذُوبُ عَلَى مَا بَدَاخِلِهِ
مِنْ أَسْطُحٍ، وَبَشَرٍ سَوَائِلَ،
وَتَدَفُّقَاتٍ مَائِيَّةٍ فِي الْعَوَاطِفِ.

الوجوه كلها بغبارها

وجه... وباب

يَفْتَحُ الْوَجْهَ بَابًا كَيْ يُوَاجَهَ بِظَلٍّ

وَيَتَّبِعُهُ بَابٌ كَيْ يُوَصِّلَهُ بَوَجْهِ

الْأَبْوَابِ مَخْرَجٌ وَمَدْخَلٌ

حِينَ الدُّخُولِ مِنْ بَابٍ ..

تَنْفَتِحُ الْأَبْوَابُ وَالْوُجُوهُ كُلُّهَا بِغُبَارِهَا

وَعِنْدَ الْخُرُوجِ

سَتَلْفِظُنَا جَمِيعُهَا إِلَى يَبَاسِهَا.

لِجَمِيعِ الْأَبْوَابِ مَفَاتِيحُ مُرْدَانَةٌ

وَمِفْتَاحٌ وَحِيدٌ.. هُنَاكَ

- لِجَمِيعِ الْوُجُوهِ ذَاتِ الْعَلَاقَاتِ السَّرِيعَةِ -

هو الحرصُ الدفينُ.
حينَ لا تَنفَتحُ الأبوابُ
تُحدِثُ بالأظافرِ اللينةِ والقاسيةِ
تُفتَحُ بالذَّاكِرَةِ
وحيْنَ لا تَنغلقُ
يَتسرَّبُ ظلُّنا إليها.
الأبوابُ سرٌّ مَكِينٌ.
والليلُ ظلٌّ لها - سِتْرٌ لها - شكْلٌ لها.
الأبوابُ صَمْتٌ، وكمينٌ
والصَّوتُ رَئيرُها.
الأبوابُ مُنغلقُ العالِمِ واحتمالٌ وحيْدُ
والأبوابُ انفتاحُ الصَّوِّ على لَوْنٍ مُباغِتِ
ويَقينُ الخُرُوجِ
ووجهٌ لَهُ صِبغَةٌ هذا البابِ
وفِعْلٌ أَكيدٌ
يُواجهُنا

فَنَوَاجِهُهُ بِأَرْتَبَاكِنَا.

لأنَّهَا تَطِيرُ مِنَ النَّافِذَةِ

لأنَّ السَّتَارَةَ حَمْرَاءُ
يَسِيلُ الدَّمُّ عَلَى الضَّوِّءِ
تَنْجَرُحُ العُرْفَةُ بِرَفِقٍ فِي حَدِّهَا
وَلَا تَصْمُدُ أَصْوَاتُ الرِّيحِ فِي صَوْتِنَا.
وَلأنَّ السَّتَارَةَ حَمْرَاءُ
سَتَسْقُطُ العُرْفَةُ مُصَابَةً بِالرَّغْبَةِ
سَيَسْقُطُ الضَّوُّءُ مَشْكُولاً فِي رِئْتِهَا
وَتَخْرُجُ السَّجَاجِيدُ وَالكَرَاسِيُّ مُهْرَوْلَةً
لأنَّهَا تَطِيرُ مِنَ النَّافِذَةِ
لأنَّهَا تُلَوِّنُ الهَوَاءَ الخَارِجِيَّ بِدَفْقِهَا
لأنَّهَا تَسْتَقِطُ حَوْلَهَا المُرَاهِقِينَ لِلحَلْمِ فِيهَا

وَتَكُونُ مَنَدِيلاً يُرْفَرُ لِلوَدَاعِ
وَعَلَامَةً سَتَكُونُ لِهَذَا الْبَيْتِ.

الكُوَّةُ

العَيْنَانِ مُسَاوِيَتَانِ تَمَامًا لثُقْبِ الْبَابِ .
العَيْنَانِ الْمُعْتَمَتَانِ أَرْجُوحَتَانِ .
وَلَأَنَّهَمَا مُضِيَّتَانِ بَوْمِيضٍ خَافَتِ ،
وَلَأَنَّهَمَا مَجْرُوحَتَانِ بِشْفُرَةِ صَدَائِهِ ؛
تَتَهَدَّلُ فِيهِمَا الْعُرْفَةُ بِأَشْبَاحِهَا
وَتَبْيَسُ الْمَفَاتِيحُ مُصَابَهُ بِالْعَلْقِ
وَلَا يَتَسَلَّلُ مِنَ الْكُوَّةِ سِوَى ضَوْءِ الرَّغْبَةِ
وَتَمَّةِ يَدَانِ تَحْمِشَانِ الْبَابِ .

جَمِيعُهَا عَاتِمَةٌ

الْبَيْتُ مُغْلَقٌ
الشَّبَابِيكُ جَمِيعُهَا عَاتِمَةٌ
وَالْمَرْأَةُ الْمُطْفَأَةُ الَّتِي تُطَلُّ بِوَجْهِهَا كُلَّ يَوْمٍ
كَرْغِيفٍ لَهُ
لَا تَظْهَرُ الْآنَ
فِي الْجُوعِ مُصَابٌ بِلَوْثَتِهِ
وَالْبَيْتُ سَكَكَيْنِ تَمَرَّقُ طَوَافَهُ
وَالشَّبَابِيكُ مَسْكُنُ الْأَشْبَاحِ
وَهُوَ مُسَايِرُ قَلْبِهِ - الشَّمْعَةُ الْمَوْقَدَةُ -
يُنِيرُ عَتَمَتَهُ كَيْ لَا يَرَاهَا.
إِنَّهَا امْرَأَةٌ تُعَانِدُ السُّيُوءَةَ.

انتظارٌ مُفتت

حينَ أفتَحُ البابَ المُغلقَ بالتلصُّصِ،
وعلى انتظارٍ مُفتتٍ
يتراءى لي ما لم أفهمهُ إلى الآنَ
ماءٌ مُتسرَّبٌ من شقوقِ الجدارِ
جسدٌ مرأيا، وجسدٌ حرٌّ
مُعلَّقٌ في كهرباءِ العُرفةِ صوتٌ
والحرَّكةُ ضوءٌ مُباغتٌ
وحينَ أهُمُّ..
يُقفَلُ البابُ بوجهي
وتظللُ عيوني بداخلِ هذا السَّرِّ.

انكسارٌ

لا فاصِلَ بينَ العتباتِ والجِذَاءِ
الأبوابُ مَكْسُورَةٌ بالجَسَدِ
والدُّخُولُ في البَيْتِ
تَأْزِمُ في الدَّاتِ
واتساعٌ للبُكاءِ بينَ الجُدُرانِ
والدُّمُوعُ
حَوَائِطُ مَلَائِكَةٍ بِالْقَلْقِ.

العلاقاتُ بآخرينَ جمادُ

لأنَّ البيْتَ شَخْصٌ ثَالِثٌ
ولأنَّه لم يَطَأْهُ فِي العَلاقَةِ
ولأنَّ عَلاقَتَهُ بِالآخَرِينَ مَنحُورَةٌ
يَظَلُّ جَسَدُهُ بِعَلاقَةٍ وُدُودَةٍ،
وَحَرَكَاتٍ عَاطِفِيَةٍ
يَسِيلُ فِي النَزْعِ الأَخِيرِ.
والبيْتُ مُعْتَرِبٌ وَحِيدٌ
نَازِفٌ عَلَى سَرِيرِهِمَا الجائِي
تَنهُدَاتٍ بِخِيَلَةٍ
قَاصٌّ أَجَنَحَةَ الذُّكْرِيَّاتِ
لأَشْخاصٍ مَرُّوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ

وَكَانَ مَعَهُمْ رَحِيمًا
فِي عِلَاقَةٍ جَدِيدَةٍ بِالتَّعَاطِي
وَلِأَنَّهُ لَا يَفْقَهُ الْعِلَاقَاتِ بِآخِرِينَ جَمَادٍ
وَلِأَنَّهَا لَا تُوقِظُهُ فِي لَيْلِ شَهْوَتِهَا
كِي يُشَارِكَهَا نَحِيْبَهُمَا
تَوَسَّعَتْ رَتْتَاهُ - ذَلِكَ الْبَيْتُ -
فِي التَّنْفُسِ بِهَوَاءٍ مُلَوِّثٍ
(نَفْسُ الْهَوَاءِ الَّذِي أَمَاتَا بِهِ الْعِلَاقَةَ بَيْنَهُمَا)
وَبَرَدَتْ جُدْرَانُهُ
وَصَارَ الْبَيْتُ عَذَابًا آخَرَ لَهُمَا.

أربعة جدران باردة

كجزءٍ غير منفصلٍ
غُرْفَةٌ بَبَابٍ وَحِيدٍ قَدِيمٍ
وَبَلَا هَاتِفٍ
وَبَلَا أَجْنِحَةٍ
وَحِيدَةٌ هُنَاكَ
غُرْفَةٌ فِي الْمَعْبَةِ
ضَائِعَةٌ فِيهَا مَلَامِحُ الْأُلْفَةِ
وَمُطَابِقَةٌ لَتَهَشُّمِ الرِّيحِ
لَكِنَّهَا كَجُزءٍ مِنْ تَارِيخٍ تَظَلُّ
وَتَدَا فِي الْقَلْبِ.

بَلَاطُ السُّلَمِ الْحَجْرِيِّ

لِهَذَا السُّلَمِ طَعْمٌ آخِرٌ
قَدَمَايَ مِنْ خِلَالِهِ تَعَلَّمَتَا دَرَسَ الصُّعُودِ وَالْهَبُوطِ
مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ حَرَثْتُ قَدَمَايَ أَرْضَهُ
مُنْذُ عَشْرِ وَرْدَاتٍ زُرِعْتُ فِيهِ
وَعِنْدَمَا نَبْتُ
كُنْتُ زَهْرَةَ السُّلَمِ الَّتِي لَا يَقْطِفُهَا سِوَاهُ
كَانَ دَرَجُ هَذَا السُّلَمِ طَالِعًا إِلَى اللَّهِ
حَيْثُ السَّمَاءُ سَقْفٌ لَهُ
حَيْثُ الْأَرْضُ أَرْجُوْحَةٌ تَحْتِي
وَأَنَا بَلَاطُ السُّلَمِ الْحَجْرِيِّ الَّذِي تَاكَلْتُ أَسْنَانَهُ
أَتَسَاقَطُ

دَرَجَةً

دَرَجَةً

حَيْثُ سَنِينُ الْحَبِّ تَهِيطُ كَالسَّيْلَانِ

حَيْثُ الْوَحْدَةُ تُبْرِهِنُ عَلَى تَهَشُّمِ الْبِنَاءِ.

مِنْ مَوْقِدٍ مُشْتَعِلٍ

التَّارِيخُ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَيَّ مِنَ الْمِدْفَاءِ
مِنْ مَوْقِدٍ مُشْتَعِلٍ
وَمِنَ الْهَاتِفِ وَالصُّنْبُورِ
هُوَ التَّارِيخُ الَّذِي يُلَازِمُنِي كُلَّ يَوْمٍ
وَيُصْحَبُنِي فِي جَمِيعِ الْغُرُفِ وَالطُّرُقَاتِ
وَمَسَالِكِ الدَّمِ الْفَائِرِ
كَظَلِّ لِي
وَشَوْكٍ.

عند حُدودِ الخدَّينِ

للمناشِفِ شَهوتُها في احتِصانِ الأَجسادِ العارِيةِ
ولها، أَيضاً، رَغبتُها في لَعقِ الوجوهِ بلا رَتوشٍ غَرِيبَةٍ
ولها مَلَمَسٌ يُخامِرُكَ باللذَّةِ
كُلِّما مَسَحَتْ يَدِيكَ فِيهَا
أَوْ خَدَشَتْ المِماءَ في وَجنتِيكَ
لِتَوْقِظَ مَتَعَتَكَ في أَنْ تُعيدَ يَدِيكَ ثَانيَةً لِلمِماءِ المِعلَقِ
بِينَ اليَدَينِ وَبِينَ المِناشِفِ
عِندَ حُدودِ الخَدَّينِ مُباشِرَةً
وَبِينَ الطِّينِ المِعلَقِ في الجُدْرانِ.

تِلْكَ الْبَوَّابَةُ

الْبَوَّابَةُ الَّتِي تَفْصِلُ الْبَيْتَ عَنِ الْجَسَدِ الْاجْتِمَاعِيِّ
الْبَوَّابَةُ الَّتِي تَقْفِلُ فَمَهَا فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ
مَسَاءً كُلَّ يَوْمٍ
الْبَوَّابَةُ الَّتِي تَنْهَشُ خُرُوجِي
وَتُفْتَشُ قَلْبِي قَبْلَ الدُّخُولِ
تِلْكَ الْبَوَّابَةُ...

اثنان من الغُربان

سَبْعُونَ عَامًا
بَشْرًا كَانُوا فِي هَذَا الْبَيْتِ
أَزْوَاجًا مِنَ الْحَمَامِ - غُربَانًا؟؟
لَمْ يَخْرُجُوا لِنَعِيشِهِمْ
وَلَمْ يَتَعَشَّوْا حِينَ قَتَلَهُمُ الْجَوْعُ
لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ طَعَامٌ لِاثْنَيْنِ مِنَ الْغُربَانِ
وَلَمْ يُعَدَّ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ مَأْزِقَةً.
بَيْتٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْهَوَاءُ الْجَدِيدُ مَرَّةً
وَلَقَدْ رَأَيْتُ شُبَّانَهُ مَفْتُوحًا مَرَّاتٍ عَدِيدَةً
لَكِنَّ الْهَوَاءَ لَمْ يَدْخُلْهُ بِذَرَّاتِ التَّرَابِ
وَلَمْ يُعَيَّرْ تَرْتِيبَ الْحَدِيثِ لَوْهَلَةَ.

ليست كمثل التمرِ الرابضِ

الطَّاولَةُ المَحْصُورَةُ بَيْنَ الصَّدْرَيْنِ
لَمْ تُعْطِ لِلْجَسَدِ شَهْوَتَهُ
وَلَا امْتِنَادَهَا بَعْرُضِ المِترِ
كَانَ مُنَاسِبًا لِلْجَوَارِ حَوْلَهَا.
الطَّاولَةُ الَّتِي تُرْتَبُ شَهْوَتَهَا
وَتُهَيِّئُ جَسَدَهَا بِالطَّعَامِ
وَتَتْرُكُ نَدِيهَا لِلْسَّكَاكِينِ وَالْمَلَاعِقِ
لَيْسَتْ كَمِثْلِ التَّمْرِ الرَّابِضِ فِي العُيُونِ الْمُتَقَابِلَةِ.

الزَّوَايَا الَّتِي تُشْبِهُ الرَّائِحَةَ

المَاءُ فِي صُنْبُورِ الحَمَامِ
يَهْطِلُ كُلَّ يَوْمٍ بِدِفءٍ سَاحِقٍ
لِيُزِيلَ مَا يَتْرُكُهُ الحَمَامُ عَلَى عُشِّ نَوْمٍ
وَيَنْفُذُ إِلَى الزَّوَايَا الَّتِي تُشْبِهُ
زَوَايَا العُرْفِ العَدِيدَةِ فِي البَيْتِ
المَاءُ فِي هَذَا الصَّنْبُورِ الحَاصِّ
لَهُ طَعْمٌ آخَرُ
لَهُ صَوْتٌ آخَرُ
لَهُ جَسَدٌ.

جَسَدٌ حُرٌّ

لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَدَيْكَ
لِيَهْدَأَ مَوْتُكَ مِنْ خِلَالِهِ
يَدَاكَ الْمَتَضَحِّمَتَانِ
أَجْسَادُ غَرِيبَةٍ تَمُوتُ حَذُوكَ
لِذَا لَمْ تَخْرُجْ مُضْمَعًا بِالرَّعْفَرَانِ
لِذَا لَمْ تَتْرُكْ لِلْبَيْتِ أَنْ يَسْرِقَ جُزْءًا مِنَ الدَّاكِرَةِ
لِذَا كَانَ جَسَدُكَ حُرًّا.

الحسُّ القديمُ

على هذا الكرسيِّ بالذاتِ
وبنفسِ الحسِّ القديمِ
حدثَ شيءٌ غريبٌ
لقد قامَ الشخصُ الرَّاكِدُ منذَ ثمانينَ عامًا
وزَعَقَ في المرآةِ حينَ رأى وجهه يُقابلهُ.
وعلى هذا الكرسيِّ الَّذي ظلَّ يحميه
هذا الكرسيُّ بالذاتِ
نامَ نومتهُ الأخيرةُ
وظلَّ الصَّوتُ في المرآةِ.

لِمَزِيدٍ مِنَ الْآلَامِ وَالصَّمْعِ

وَحَدَكَ فِي الْبَيْتِ
التَّوْفِئِدُ مُهَشَّمَةٌ
وَجَسَدُكَ حَالٌ عَلَى سَرِيرِهِ
يَمْضُغُ فِيهِ عَلاَقَةً بِالْيَدِ وَالْقَمِ وَالذَّاكِرَةَ
وَحَدَكَ تُفَشِّي لِلْجَسَدِ سِرِّكَ
وَتَفْتَرِشُهُ شَوْكًا
لِمَزِيدٍ مِنَ الْآلَامِ
وَالصَّمْعِ.

صَائِحًا فِي الزَّلَازِلِ

لَمْ يَكُنْ بَدَاخِلِكَ
الْبُيُوتُ جَمِيعُهَا صَارَتْ مَمَرَاتٍ
وَالنَّوَاغِدُ مَحْلُوقَةٌ أَيْضًا مِنْ سَتَائِرِهَا
الْبُيُوتُ الَّتِي ارْتَدَّتْهَا جَمِيعُهَا مُهَدَّمَةٌ
تَشَقَّقَتْ جُدْرَانُكَ فِيهَا عَنِ السُّؤَالِ
فَخَرَجْتَ صَائِحًا فِي الزَّلَازِلِ
مُفَكِّكًا.

تَهْيِؤُ

لَأَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ تَمَامًا
أَبْحَثُ عَنْ أَبْوَابٍ أُخْرَى
عَنْ شُقُوقٍ فِي الْجِدَارِ أَوْ نَوَافِذَ
وَحِينَ أَدْخُلُ، أَخْرُجُ سَرِيعًا
- لَعْدَمِ خِبْرَتِي -
مَبْهُورَةً بَاكْتِشَافِي
وَمُهِيَاءَةً تَمَامًا
لَمَا سَأَرَاهُ ثَانِيَةً.

ثُمَّ.. الْآنَ

أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ وَيُنْتَهِي الصُّعُودُ

ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ

اِثْنَتَانِ الْآنَ

ثُمَّ

تَنْزَلُ الْقَدَمُ الْمُؤَهَّلَةُ لِلظَّمَا.

شُقُوقُ الْجِدَارِ

هَذِهِ الشُّرُوحُ فِي الْجِدَارِ، تَهْمُنِي
تُرْحِزُ الضِّيقَ
تَسْرَبُ مِنْهَا الْعُرْفُ وَالْأَجْسَادُ وَالْأَحْلَامُ.
هَذِهِ الْفَضَائِلُ تُقَوِّبُ فِي الْأَوْهَامِ
أَوْ رُبَّمَا حَدَثُ فِي قَمِيصِي اللَّيْلِ الَّذِي
أَحْبَبْتُ فِيهِ حَبِيبِي
وَأَنَا.

تلك الثيابُ النائمةُ

الثيابُ المعلقةُ على السريرِ
تنامُ ملءَ خيوطها
والضوءُ المشتعلُ يساومُ الغرفَ على أنْ
تظلَّ كابيةً
والجسدُ يطفئُ الأنوارَ جميعها
يلبسُ تلكَ الثيابَ النائمةَ
يستلقي على سريرِ النومِ
ويوقظُ شيئاً من العُزلةِ.

دَوَائِرُ

وَكَالْعَادَةِ الدَّائِمَةِ
فِي نِهَائِهِ اليَوْمِ الدَّائِرِيَّ
أَسْقَطُ عَلَى سَرِيرِ النَّوْمِ
أَفْتَحُ وَرْدَتَهُ الكَامِنَةَ
وَأَزْرَعُ فِيهِ جَسَدِي.

اشتقاق

في الغُرفِ السَّوداءِ
امرأةٌ بقلْبٍ فَاحِمٍ
تَفْتَحُ دُولَابَ مَلَابِسِهَا
تُخْرِجُ الثِّيَابَ المَيِّتَةَ
وراءَ جَنَائِرٍ تُعْدهَا خِصِيصًا لخدَشِهَا
تَسْقُطُ امرأَةٌ أُخْرَى
تَخْرُجُ مِنَ الصُّرَاخِ
مِنْ لُغَةٍ فَجِيعَتِهَا
مَرْعُوبَةٌ، وَمُعْتَمَةٌ
يَرْدُمُونَهَا بِالرَّمْلِ
(مَرْدُومَةٌ بِالتَّأْكِيدِ عَلَى الحَيَاةِ)
فَتَشْتَقُّ وُجُودَهَا.

بَابُ بِلَا وَجْنَتَيْنِ

مَسْنَدُ بِلَا جَدَائِلَ
عَجُوزٌ تُعَانِدُ الضَّوَاءَ الْمُصَاحِبَ لِلخُرُوجِ
بِالتَّجَاعِيدِ

بَابُ بِلَا وَجْنَتَيْنِ
عَلَى أَعْتَابِهِ تَسْتَنْدُ بِظِلِّهَا الرَّحِيمِ عَلَيْهِ
وَتَنَامُ بِكُلِّ سِنِينِهَا
تَسِيرُ رِيحُ خُطُوتَيْنِ أَمَامَهَا
ثُمَّ تَسْتَدِيرُ لَهَا
وَتَسْتَعِيدُ تَمَثُّلَهَا مَنحُوتًا بِوَجْهِهَا
وَلِيلُهَا كَمَا عُمَرُهَا
مُلَامِسٌ لِبَشْرَتِهَا وَأَحْلَامُهَا الْيَابِسَةُ.

بَابُ مُحَدَّوْدَبٍ

بَابٌ يُمْتَحَنُ تَوَاجُدُهُ فِي الرَّئِثِينَ، وَفِي الْقَدَمِ الْمُنَزَّلَةِ فِي حَرَارَةِ

الْحُمَى

حَيْثُ يَنْفَتَحُ كدُخُولِ لِلتَرَابِ فِي الْمُقْلَةِ الْمُؤَهَّلَةِ لِلرُّؤْيَا، لِلْوَمِيضِ
الْحَافِتِ حِينَ يَتَصَبَّبُ الْعَرَقُ مَاءً بِقَرَارَةِ الْعَيْنِ، دِفْنًا خَافِتًا، عَرَقًا
يَنْزُ مِنْ فَصَائِدِ جَسَدِهِ، وَالبَابُ الْمَوَارِبُ قُبَالَتِهِ يَنْفَصِّدُ عَرَقًا
مُشَابِهًا لِلْعَرَقِ الْمَنْزُوفِ مِنَ الْجَسَدِ الْوَاقِفِ خَلْفَ البَابِ.

خَارِجُ الْبَيْتِ

الْبَيْتُ الْبَارِدُ يَدْفَأُ حِينَ يَدْخُلُ تَنْفُسُهَا الْمَكَانَ
الْحُجْرَاتُ الْفَارِغَةُ تَمْتَلِئُ بِشُحُوبِهَا وَشَجْنِهَا وَانْبِعَاطِهَا
وَالصُّورُ تَخْرُجُ مِنْ إِطَارِهَا كَمَا تُكُونُ صَوْتًا وَجَلْبَةً
وَتَحْتَفِلُ بِدُخُولِهَا
الْبَيْتُ الْبَارِدُ.. دَافِئُ الْيَوْمِ
وَالْحُجْرَاتُ مُمْتَلِئَةٌ
وَالصُّورُ كَانِنَاتٌ مُتَحَرِّكَةٌ
وَهِيَ مَعَهُ
خَارِجُ الْبَيْتِ.

نَقْرٌ عَلَى أَرْضٍ

النافذة تَسْكُبُ رَائِحَتِي عَلَى كُلِّ طَيْرٍ يَحِطُّ
الطُّيُورُ تَحْمِلُهَا إِلَى شَجَرٍ قَرِيبٍ، وَيُلَوِّنُ أَوْرَاقَهُ بِلَوْنِي.
تَسْأَقُطُ الْأَوْرَاقُ عَلَى الْأَرْضِ.

وَحِينَ تَأْتِي الرِّيحُ بَزَّيْرِهَا
تَطِيرُ الطُّيُورُ وَالْأَوْرَاقُ وَالْأَخْلَامُ
وَتَظَلُّ رَائِحَتِي - الطَّيْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَنْقُرُ الْأَرْضَ -
فَرِيسَةً صَعْبَةً.

مَقَاتِعُ خَاصَّة

□ تَخْرُجُ مِنْ بَابِ بَيْتِهَا

لِنَلْدِ الْمَوْتِ فِي الطَّرِيقِ

لَا تَعُودُ

فَالْبَيْتُ سَرَابٌ فِي الْمَخِيلَةِ

وَلَأَبْنَانُهَا وَقَعُ الصَّدَى

يَفْتَحُونَ بَعْدَهَا لِبَيْتِهِمْ

طُرُقًا وَعُورَةً فِي الْأَحْلَامِ

وَمُنْزَلَاتِ الرُّوحِ.

□ تَقِفُ قُبَالَةَ لُهَاثِهِ

تَمُدُّ يَدًا لِلشَّمْعَةِ الَّتِي أَتْنَى عَلَيْهَا

تُناوِلُهُ حَلَمَاتِهَا فَطِيرًا
فَفِي نَفْسِ العُرْفَةِ الَّتِي تَشْهَدُ وِلادَتَهُ
سَتَشْهَدُ الآنَ اخْتِزَالَهَا.

□ فِي القِطارِ يَهُمُّ بِالْحَلْمِ خَارِجَ بَيْتِهِ
يُخْرِجُ مِنْدِيبًا كَيْ يُرْفَرَ بِهِ
لَا مُودَّعِينَ
كَانَ طَوَالَ حَيَاتِهِ يَرَى رَفْرَفَةَ الطَّائِرِ بَجَنَاحِيهِ.

□ فِي اللِّحْظَةِ الَّتِي تَمُوتُ فِيهَا
أَنْزَلُوهُ مِنَ القِطارِ
حَمَلُوهُ لِلرَّصِيفِ المُقَابِلِ لِلْبُكَاءِ
وَفِي حَلَمَاتِهَا طِفْلٌ يَرْضَعُ
وَالعُرْفَةُ مُقْفَلَةٌ أَجْفَانُهَا
وَهُوَ يُلَوِّثُ دَمَهَا.. بِالظِّلِّ.